

مَقْدَمَاتُ فِي الْعَقِيدَةِ

مَقْدِمَاتُ فِي الْحَقِيقَةِ

تَأَلَّفَ

د. عبد الحميد راجح كردي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد.

فقد أنزل الله القرآن الكريم، هدى للمؤمنين، أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ ليكون دستور الأمة الإسلامية. وجعل الله فيه منهاج حياة الناس، وما يتعلق بشعائهم ومشاعرهم وشرائعهم، كما جاء فيه أركان الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وجاءت السنة النبوية العطرة، فكانت نبراس الخير، ونور العطاء، وطريق النور، به أنقذ الله البشرية من غياهب الضلال والظلام، إلى فسحة الهداية والنور.

وجاء أتباع هذه الرسالة الخالدة، فكانوا حملتها على بصيرة،
 وشرفهم الله تعالى بتكليف عظيم، فحملوا الدعوة، دعاة إلى الخير
 ابتداءً، ودعاة نصح، وبشائر هداية، وبناء عقيدة، وآمرين بالمعروف
 ناهين عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الفصل الأول: مقدمات في العقيدة

المبحث الأول: مفهوم العقيدة لغة واصطلاحًا وموضوعها

المبحث الثاني: مكانة العقيدة الإسلامية وأهميتها

المبحث الثالث: الموضوعات العقدية ومنهج القرآن في عرضها

المبحث الرابع: المخاطب بالاعتقاد (الإنسان)

المبحث الخامس: أسماء علم العقيدة

المبحث السادس: مصادر العقيدة

المبحث السابع: خصائص العقيدة

المبحث الثامن: آثار العقيدة

الفصل الأول

مقدمات في العقيدة

المبحث الأول: مفهوم العقيدة لغةً واصطلاحاً

عند الحديث عن أي مصطلح دائماً يُدرس معناه في اللغة؛ حيث إن المعنى اللغوي يوضح المعنى الاصطلاحي ويدل عليه؛ لأن الأصل في دلالات الألفاظ حقيقتها اللغوية، وهي المقدمة دائماً.

مفهوم العقيدة لغةً:

ولفظ عقيدة مأخوذ من الأصل اللغوي «عقد»، كما يقول ابن فارس: «العين والقاف والdal أصل واحد يدل على شدٍّ، وشِدَّةٌ وُثوقٌ، وإليه ترجع كلُّ فُرُوع الباب»^(١).

وعند الزبيدي: «عقد: أصل العَقْد نقيض الحل، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، ثم استعمل في التصميم، والاعتقاد الجازم. وعَقَدَ العهدَ، واليَمينَ، يَعْقِدُهُمَا عَقْدًا وَعَقَّدَهُمَا: أَكَّدَهُمَا»^(٢). ومنه قوله تعالى:

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٨٦/٤، مادة عقد.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٤٨٦/٢، مادة عقد.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتُوهُمْ فَبَصِّيهِمْ﴾ [النساء: ٣٣]. وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

وقال الفيومي: «اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير»^(١).

وقال الفيروزآبادي: «وعُقْدَةُ النكاح، وكُلُّ شيء: وجوبه»^(٢).

وقال ابن منظور: «اعتقد الشيء: أي: اشتدَّ وصلب»^(٣).

وجاء في المعجم الوسيط: «اعتقد الإخاء إذا ثبتَ وصدق، واعتقد فلان الأمر، أي: صدقه وعقد عليه قلبه وضميره»^(٤).

كما أن من معانيه لغة: العهد، عاهده، أي: عاقده»^(٥).

وبناءً على ما مر، فإن معنى العقد لغة جاء على عدة معان: الشد، والتوثيق، والتصميم، والجزم، والوجوب، والشدَّة، والصلابة، والتصديق،

(١) الفيومي، المصباح المنير، ٨٤، مادة عقد.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١/ ٣٨٣، مادة عقد.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ٣/ ٢٩٩.

(٤) جماعة من علماء اللغة: المعجم الوسيط، ٢/ ٦١٤.

(٥) أبو المكارم، المغرب، ص ٣٢٣، مادة عقد.

والثبات، والعهد، ونقيض الحل، والتأكيد، والإثبات، وعَقْدُ الْقَلْبِ والضمير.

وهي في مجملها تدل على صلابة موقف صاحبها، وشدته في أمره، وجزمه بما يريد، وتصميمه عليه، بحسب ما يريد هو، ولذلك فإن لفظ الاعتقاد يُطلق، ويرادُ به تخصيصُ ما أرادَ صاحبُ المُعْتَقَدِ إبرازُه، بغَضِّ النظرِ عن مُوافقةِ غَيْرِه له، أو لا.

مفهوم العقيدة اصطلاحاً:

من خلال معرفة الحقيقة اللغوية لمعنى العقيدة، وأنها تدور بين التأكيد والجزم والتصميم والتصديق، نستطيع الربط بين هذه المعاني اللغوية جميعاً مع ما نريدُ تأكيدَه من معنى العقيدة شرعاً، أو اصطلاحاً؛ ولهذا نجد أن كلَّ من كتب في معنى العقيدة قديماً وحديثاً لم يبتعد عن المعنى اللغوي.

فالإيجي مثلاً عرّف علم العقيدة: «بأنه العلم الذي يُقتدر معه إثباتُ العقائد الدينية، بإيراد الحُجَج، ودَفْعِ الشُّبُه»^(١). فهو استخدم المعنى اللغوي لمصطلح العقيدة، وهو الإثبات مثلاً.

(١) الإيجي، المواقف، ٣٤ / ١.

ومن المعاصرين من عَرَفَه بأنه: «التصديق الجازم فيما يجب لله تعالى من الوحدانية والرُّبُوبِيَّة والإفراد بالعبادة، والإيمان بالأسماء والصفات»^(١).

كما عرفوها من هذا الباب أيضًا بأنها: «الإيمان الجازم القاطع الذي لا يَتَطَرَّقُ إليه شكٌّ، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد قلبه وضميره عليه، ويتخذُه مذهبًا ودينًا يدين به، فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحًا، كانت العقيدة صحيحةً، وإن كان باطلاً، كانت العقيدة باطلة»^(٢).

وقيل: «ما يعقد عليه المرء قلبه ويدين به، والعقائد هي الأمور التي تُصدَّقُ بها النفوس، وتطمئنُّ إليها القلوب، وتكون يقينًا عند أصحابها، لا يُمَازجها فيها ريبٌ، ولا يُخالطها شكٌّ»^(٣).

التعريف المختار:

وبهذا نستطيع بعد استعراض معنى العقيدة لغةً واصطلاحًا أن

(١) الأطرم، الأسئلة والأجوبة في العقيدة، ٧.

(٢) العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة، ٩.

(٣) البناء، رسالة العقائد، ٤٢٩.

نستنبط تعريفاً جامعاً مانعاً مختصراً لها يجمع بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية، فنقول والله المستعان:

العقيدة هي: التصميم الجازم على الآراء والأفكار المتبعة، والتأكيد على ضرورة الالتزام بها، وعقد القلب عليها، والسير على مبادئها وأفكارها.

ومن ذلك فإن العقيدة الإسلامية: هي التصديق الجازم بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تبارك وتعالى من التوحيد والإيمان به.

وقد جمع هذا التعريف بين التصديق الجازم وبين الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وخصّ منه مجال التوحيد وأركان الإيمان وما يتعلق بهما.

موضوع علم العقيدة الإسلامية: فالعقيدة أصل من الأصول إن ربطنا معناها بالإيمان بالله تعالى، فإن الإيمان هو رأس علوم هذا الدين، فديننا يُقسم إلى عقيدة وشريعة وخلق، وكلها يكمل بعضها بعضاً، وهي هذا الإسلام كله.

وعلم العقيدة يبحث في المسائل المتعلقة بالجزم القلبي؛ من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره شره، وكل ما يتعلق بهذه الأركان من مسائل الكفر والشرك والنفاق، وما يتعلق بفروع هذه الأركان.

كما أن هذا العلم يبحث في مسائل استخلاف هذا الإنسان وتكريمه، ومحبة الله تعالى له، ومحبة الله تعالى، ورسوله، ودينه، وفيما يتعلق بمسائل الولاء والبراء.

كما أنه يبحث في التوازن العظيم في خلق الله تعالى لهذا الإنسان بشكل متكامل بين جسم وعقل وروح. وتسخير كل المخلوقات الأخرى لهذا المخلوق المميز المكرم بين جميع المخلوقات.

المبحث الثاني: مكانة العقيدة الإسلامية وأهميتها

تتجلى أهمية العقيدة الإسلامية في كونها تجيب على الأسئلة التي تدور في ذهن كل إنسان من أين جئت؟ ولماذا جئت؟ وإلى أين أذهب؟ قال سيد قطب رحمه الله: «وإجابة الإسلام عن هذه الأسئلة تحدد التصور الحق للوجود الإنساني وللوجود كله، فإن الإنسان ليس بدعا من الخلائق كلها، فهو واحد منها. جاء من حيث جاءت، وشاركها علة وجودها، ويذهب إلى حيث تقتضي حكمة خالق الوجود كله أن يذهب، فالإجابة على تلك الأسئلة تشمل كذلك تفسيراً كاملاً للوجود كله، وارتباطاته وارتباطات الإنسان به. وارتباط الجميع بخالق الجميع»^(١).

وفي الإجابة عن هذه الأسئلة أيضاً يزول عن الإنسان الجهل والشك والحيرة، ولا يبقى نهب الوهم والضياح والضلال؛ فالعقيدة الإسلامية رفعت الإنسان، وأصلحت سلوكه، وصوبت تصوره عن الكون والحياة. ولهذا كان من أسمى دعواتها أنها بينت الغاية من خلق الإنسان بداية، ثم وضحت له الطريق الصحيح التي يسير عليها في أداء عباداته المطلوبة منه، فصحت له المسار دائماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

(١) سيد قطب، الظلال، ٦/ ٣٣٩٥.

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَمِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿[النحل: ٣٦]﴾. فكانت هذه دعوة كل نبي في قومه^(١)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، بل إن آيات القرآن الكريم في كثير من خطابها للمؤمنين جاءت لبيان حقائق الإيمان والاعتقاد في شتى مجالات الحياة، فكان الخطاب للذين آمنوا خطاباً بضرورة الإيمان بالله تعالى أولاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وكان أيضاً لبيان ارتباط العبادات والأعمال بالإيمان: قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

(١) كردي، العقيدة الإسلامية، منشورات القدس المفتوحة، ١١.

واشتملت أيضاً على بيان ارتباط السلوك بالإيمان: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وبهذا فإن العبد المؤمن يعرف العلاقة بينه وبين ربه، فإليه يلجأ، وعليه يتوكل، يحببه، ويحب ما يحبه، ويبغض ما يبغضه ويكرهه، ويرأى من كل ما سواه. يوالي من والاه ويعادي من عاداه.

كما أن التمسك بهذه العقيدة يرفع المؤمن ويعزه وينصره ويمكن له في الأرض: قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق

ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(١).

والتمسك بهذه العقيدة يحفظ المسلم من الأفكار الهدامة، والعقائد الفاسدة، والمذاهب المنحرفة من الداروينية والوجودية والعلمانية وغيرها. ويكفي أن الإنسان يعرف حقيقة ذاته، وأنه خليفة الله تعالى في أرضه، يعمرها بالعبادة، والاستجابة لنداء الإيمان في هذه العقيدة، ويدافع عنها، ويرفض غيرها من المذاهب والأديان، فلا يعيش تائها في هذه الحياة لا يعرف من أين أتى، ولا غاية وجوده، ولا يعرف مصيره.

ويمكن تلخيص أهمية العقيدة فيما يأتي:

١- معرفة الله تعالى، والإيمان به وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

٢- تأصيل الإيمان في القلب، وترسيخه في الفؤاد، وجعله رقيباً على النفس.

٣- الإجابة عن الأسئلة التي تراود كل إنسان؛ مَنْ الذي أوجدني؟ لماذا أتيت؟ ومن أين؟ وكيف أعرف ما أفعل، وما طرق معرفتي؟ وما مصيري؟

(١) مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة، حديث رقم ١٩٢١.

ومن نقل لي المطلوب؟ وكيف نقله؟ وما طرق اتصاله؟ مع من أرسله؟

٤- رفع شأن المسلم فردًا ومجتمعًا، وتصحيح مساره.

٥- صحة الاعتقاد شرط في قبول الأعمال عند الله تعالى.

٦- صحة الاعتقاد سبيل النجاة في الآخرة.

٧- بيان المذاهب والعقائد الفاسدة وكشفها.

٨- نصرة دين الله تعالى، ونصرة عباده، والولاء له والبراء مما سواه.

المبحث الثالث: الموضوعات العقدية في القرآن ومنهجه في عرضها:

المطلب الأول: الموضوعات العقدية في القرآن

أولاً: مسائل الإيمان:

عَرَضَ القرآن الكريم مسائل الإيمان في آيات كثيرة، منها:

١ - مسألة الإيمان بالمعنى اللغوي، ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، ومعنى مؤمن هنا مصدق، وهو أحد المعاني اللغوية للإيمان.

٢ - مسألة الإيمان بمعناه الاصطلاحي، وبيان حقيقته، وقد ورد في آيات كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْمُرُ بِالْأَخْيرِ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

٣ - مسألة العلاقة بين الإيمان والإسلام، كما في التنزيل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

٤ - مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٥ - مسائل الكفر والنفاق والكبيرة، وقد وردت عليه آيات كثيرة في القرآن الكريم سيتم بيانها في موضعها.

ثانيا: مسائل الالهيات:

١ - مسألة إثبات وجود الله تعالى من خلال أدلة كثيرة؛ كدليل النظر والاعتبار: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَفُرُونَ﴾ [الروم: ٨]. ودليل الخلق والعناية والإبداع: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وغيرها من الأدلة مما ورد في القرآن العزيز.

٢ - مسألة توحيد الألوهية والربوبية، كقوله تعالى: ﴿وَالَهُ كُفِّرُ إِلَهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٣].

٣- مسألة أسماء الله تعالى وصفاته ، وقد عرضها القرآن الكريم في كثير من الآيات وباختلاف الموضوعات الواردة فيها: كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٤- مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة: كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

٥- مسألة القضاء والقدر: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

ثالثا: مسائل النبوات:

عرض القرآن الكريم للمسائل المتعلقة بالنبوات ومن ذلك:

١- مسألة الوحي وما يتعلق به من مسائل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

٢- مسألة إثبات النبوة والرد على منكريها: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ

شَكَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ [إبراهيم: ١٠].

٣- مسألة الحكمة من إرسال الرسل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

٤- مسألة الفرق بين النبي والرسول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَمَّتِ الْفِتْنَةُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

٥- مسألة المعجزة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنظَرْنَاهُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

٦- مسألة الاصطفاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

٧- مسألة العصمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

رابعاً: مسائل السمعيات (الغيبات):

١- مسألة الإيمان بالغيب ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾

[الجن: ٢٦].

٢- مسألة الإيمان بالملائكة، وما جاء من أخبارهم: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٣- ما يتعلق بالجن والشياطين: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَرَكَمَ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

٤- الروح والنفس: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

٥- الموت والأجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].
﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

٦- القبر ونعيمه وعذابه: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

٧- ما يتعلق بمسائل الآخرة: من حيث أسماؤه والبعث، والنشور والحشر، والحساب، والميزان، والصحف، والجنة والنار، والشفاعة، وغير ذلك: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ تُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّورُ﴾ [فاطر: ٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّورُ﴾ [فاطر: ٩]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لَظَلَمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وسياي تفصيل ذلك - بإذن الله - في المباحث القادمة.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض مسائل الاعتقاد

القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى، وهو المنهج والدستور، وهو كتاب الهداية المتبعة والمرشد للحق، والمخلص من الضلال، لهذا جاءت مسائل الأصول في ضرورة الإيمان وحسن الاعتقاد. ومخاطبة من أرسل إليهم واضحة جلية، لذا نجد أن القرآن الكريم خاطب الكينونة الإنسانية في جوانبها المتعددة، فخاطب الجانب الفطري مستخدما طرق إيقاظ فطرته والتأثير على عاطفته وتحريك دواخله، وإخراج كينوناته، كما أنه خاطب

الجانب الحسي ببيان الأدلة الكونية، وخاطب الجانب العقلي، ولم يغفل الجانب الوجداني والنفسي في خطابه العقدي لهذا الإنسان، ولتوضيح ذلك نبينه بصورة مختصرة فيما يأتي^(١):

١ - خطاب القرآن الكريم للجانب الفطري في الإنسان

وذلك باستشارة هذه الفطرة وتوجيهها إلى عبادة الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. فالدعوة هنا لكل الناس بالعبادة، والخطاب بالأمر بالعبادة هنا موجه للمؤمنين والكافرين؛ فالمؤمنون يأمرهم بالعبادة مباشرة، والكافرون يفهم من الآيات أنه يخاطبهم بالإيمان ابتداء ثم بالعبادة^(٢)، وبالتالي فهو يخاطب أصل فطرتهم التي فطرهم فيها على الإيمان، ويذكرهم بأصل فطرتهم السليمة. ومما يؤيد ذلك أن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم أن الإنسان إذا مسه الضر التجأ إليه، وأناب إليه،

(١) للاستزادة من هذا الموضوع راجع، كردي، أحمد، الخطاب العقدي للكينونة الإنسانية في القرآن الكريم. حسن، وليد محمد، منهج القرآن الكريم في عرض قضايا العقيدة.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٣١٢.

ورجع إليه، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مَتَّهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]. وهذا التذكير مرجعه إلى أن الميل إلى التدين عند الإنسان موجود منذ أن خَلَقَهُ اللهُ تعالى، «حتى إن بعض الفلاسفة عرف الإنسان بأنه حيوان له دين»^(١).

لهذا فإن عقيدة القرآن الكريم في سموها وصفائها، وفي بساطتها وسماحتها، في بعدها عن التعقيد والكهانة، وفي شمولها وواقعيتها الطبيعية تلائم الفطرة الإنسانية، وتعاين أشواقها في سهولة ويسر دون أي عناء أو جهد، وذلك كله مالم توجد عقبات بين هذه الفطرة وبين العقيدة^(٢).

كما أن القرآن الكريم قد خاطب الفطرة في الجانب العقدي أيضا بتذكيرها بأصل الخلق والإيجاد^(٣)، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ تُمَيِّزُهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، ففي هذه الآية الكريمة خاطب الله تعالى فطرة الإنسان التي تدله على خالقه سبحانه وتعالى. وكذا في قوله تعالى: ﴿فَأَقْوَ وَجْهَكَ

(١) صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٢/ ١٤.

(٢) العاروري، منهج القرآن، ٢٨٦.

(٣) الكردي، الخطاب العقدي، ٧١.

لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الروم: ٣٠].

وقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات في بيان حقيقة الفطرة والصبغة، وبيان الميثاق الرباني الفطري الذي أخذه الله تعالى على عباده: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿[الأعراف: ١٧٢] (١).

قال سيد قطب رحمه الله: «إن هناك عهداً من الله على فطرة البشر أن توحده، وأن حقيقة التوحيد مَركوزةٌ في هذه الفطرة، يخرج بها كلُّ مولود إلى الوجود، فلا يميل عنها إلا أن يُفسد فطرته عاملٌ خارجيٌّ عنها! عاملٌ يستغل الاستعدادَ البشري للهدى وللضلال، وهو استعدادٌ كذلك كامنٌ تُخرجه إلى حيز الوجود ملابساً وظُروف» (٢).

(١) الرازي، التفسير الكبير، ٥/ ١٥، وانظر: الزمخشري، الكشاف، ٣/ ١٢٩، أبو

السعود، التفسير، ٢/ ٣١٥، الطحاوي، العقيدة الطحاوية، ٢٦٩، الكردي،

الخطاب العقدي، ٧٩، قطب، الظلال، ٣/ ١٣٩٣.

(٢) «في ظلال القرآن» ٣/ ١٣٩٤.

٢- خطاب القرآن الكريم للجانب الحسي في الإنسان:

فتارة يوجه الخطاب للنظر، وتارة للسمع، وغير ذلك، فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فدعاهم إلى النظر، والنظر أساسه حاسة البصر، ومنتهاه العقل والفكر، للتأكيد على حقيقة وجود الله تعالى وتفردّه بالخلق والتدبير لهذا الكون، وتفردّه بالعبادة سبحانه.

هذا من جانب، ومن جانب آخر يذكرهم الله تعالى في أكثر من آية بهذه الحواس: ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨]، وتظهر أهمية الخطاب القرآني في هذا الجانب الحسي أن هذه الحواس هي من أهم الأدوات التي خلقها الله تعالى للدلالة عليه سبحانه.

٣- خطاب القرآن الكريم للجانب العقلي في الإنسان:

ذلك العقل الذي كرم الله الإنسان به، وجعله مناط التكليف، ولهذا وجه القرآن الكريم خطابه لأصحاب العقول، يحثهم على تدبر القرآن والتفكير فيه، ليستدلوا به على الله وشريعته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وقد خاطب القرآن الكريم هذا العقل بطرق الاستدلال العقلي المختلفة، معتمداً على الحقائق العلمية والظواهر الكونية، والسنن الإلهية في هذا الكون، وهو في كل ذلك يفتح للعقل باباً واسعاً للبحث والاستقراء والاستدلال:

فتارة خاطب العقل للاستدلال على صحة مصدر القرآن، وأنه من عند الله تعالى، ثم تحداه بأن يأتي بمثله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وتارة يبرهن لهذا العقل صحة المعتقد بوجود إله واحد، ونفي الشركاء: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ويقول له تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وتارة يبرهن لهذا العقل صحة المعتقد بالاستناد إلى الحقائق المعروفة والمسلمات العقلية، فالإنسان يأكل ويشرب ويقضي حوائجه، فلا يصلح أن يكون إلهاً، ولذلك أقام القرآن الكريم الحجة على بشرية المسيح

عيسى عليه السلام وأمه، وعلى أنهما ليسا إلهين بقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُنَيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وتارة يدعو العقل للتفكير والتدبر في آيات القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وتارة يدعو العقل للتفكير والتدبر في آيات الكون المنظورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [١٩] فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٥ - ٩٦].

وبالمجمل فإن آيات القرآن الكريم بما فيها من العقائد والفقه والقصص والأمثال وغير ذلك كلها تخاطب العقل بصورة أو بأخرى. والغرض الأسمى من كل ذلك هو الوصول إلى هداية البشرية.

٤ - خطاب القرآن الكريم للجانب النفسي والوجداني في الإنسان

كما خاطب حسه وعقله فقد خاطب وجدانه ومشاعره، ويجد الإنسان من هذا الخطاب للنفس ما يؤثر في وجدانه حباً وكرهية، وترغيباً وترهيباً، وشجاعة وخشية وخوفاً، وفرحاً وحزنًا، وهذه كلها أمور وجدانية داخلية، والأمثلة عليها من القرآن الكريم كثيرة: فمن الحب، قول الله

تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

والحب هنا ليس مجرد مسألة عاطفية، بل هي خطاب وجداني للعاقل الذي يلتزم هذا الحب، فيتبع ويخشى ويطيع، ويجتنب ما نهاه الله عنه التزاماً بهذه المحبة، وهو بذلك أيضاً يحب النبي ﷺ لأنه يعلم أن إيمانه بدون حب نبيه غير صحيح. وكذا حبه لإخوانه المؤمنين.

وفي مقابل الحب دعاه إلى بغض الباطل وأهله وكراهيتهم وعدم موالاتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ومن الخطاب الوجداني في القرآن خطابه بالترغيب والترهيب، كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. وكلاهما خطاب للوجدان الذي يدفع الإنسان للعمل، والطاعة.

ومن ذلك أيضاً دعوته إلى حسن التوجه والتوكل على الله، قال تعالى :
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِعَالِهِمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومن ذلك أيضاً الإيمان بأسماء الله وصفاته وجدانياً وسلوكياً، فيطمئن
قلبه إلى أن الله تعالى متفرد بالالوهية والربوبية، فهو الخالق وهو الرازق
وهو المحيي والمميت والمعز والمذل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ
مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ومن خطابه الوجداني دعوته إلى شجاعة القلب، وإرهاب العدو:
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

كما دعاهم إلى الخشوع والخضوع لله تعالى: ﴿الَّذِينَ لِلَّهِ لَازِمُونَ
أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وبهذا يتضح منهج القرآن الكريم في الخطاب العقدي وطبيعته وكيفيته
وطرقه وأساليبه التي تنوعت بين القصة والمثال والجدل، وبين مخاطبة

الحاسة والعقل والوجدان، مما كانت الغاية فيه إقامة الحجة على المخلوق
بشتى الوسائل والطرق، مما لا يدع مجالاً للإنكار، أو الجحود، أو
الصدود عن خطاب الله تبارك وتعالى.

المبحث الرابع: المخاطب بالاعتقاد

الإنسان من مخلوقات الله تعالى، وقد شرفه إذ خلقه بيديه، ورفع شأنه على سائر المخلوقات الأخرى، وجعلها مسخرة له، وخلق له في أحسن تقويم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. وخصه بالتكليف ابتلاء له في هذه الدنيا.

هذا وإن كان الجن قد شاركه بالخطاب بالاعتقاد وبالتكليف إلا أننا في هذه الصفحات سنتكلم عن الإنسان، أما الحديث عن الجن فسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

مفهوم الإنسان وطبيعة خلقه وتكريمه:

الإنسان مخلوق ناطق عاقل، مفكر بما حوله، مدبر لشؤونه، ومميز للأشياء من حوله، قال ابن خلدون: «الإنسان ذلك المخلوق المتميز عن سائر الحيوانات بخواص اختص بها»^(١).

وقد جاء لفظ (الإنسان) في القرآن الكريم في آيات كثيرة، تبين

(١) ابن خلدون، المقدمة، ٤.

طبيعته ووظيفته في هذه الحياة الدنيا، وما يلزمه من العقائد والشرائع،
 منها قوله تعالى في خلق الإنسان: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ
 الْإِنْسَنِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ
 رُّوحِهِ ۚ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:
 ٧ - ٩]. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]. وقوله
 سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤].
 وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ومنها قوله تعالى في طبيعته الخلقية والنفسية: ﴿رِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
 عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿خُلِقَ
 الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]،
 وقوله سبحانه: ﴿قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ
 وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا
 الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

وقال سبحانه في تكليفه وابتلائه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
 جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيعْبُدُونِ ﴿[الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَوَ كَانَ شَيْعًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿[الإنسان: ١ - ٢]، وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْكِئِهِ ﴿[الانشقاق: ٦]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿[البلد: ٤].

وقد ميز الله تعالى هذا الإنسان بالعقل وجعله مناط التكليف، يميز به بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وهو كما قال الجرجاني: «جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان للتدبُّر والتصرُّف، وفيه استعدادٌ مُحضٌّ لإدراك المعقولات»^(١).

وقد ورد ذكر العقل في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة تدل كلها على الفقه والفهم والإدراك: منها: بصيغة فعل عَقَلَ واشتقاقه: كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿[البقرة: ٢٤٢]، ومنها لفظ الأبواب: كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿[البقرة: ١٧٩]، ومنها لفظ النهي: كقوله تعالى: ﴿إِنِّي فِي ذَٰلِكَ لَآيَتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿[طه: ١٢٨]، ومنها لفظ القلب والقلوب: كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴿[الأعراف: ١٧٩]، ومنها لفظ الحجر: كقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴿[الفجر: ٥].

(١) الجرجاني، التعريفات، ١٩٨.

أما العنصر الآخر في تكوين الإنسان فهو الروح الذي هو سر الله في خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهي مما لا يدركه البشر، ولا يعلم كنهها إلا الله تعالى.

وقد جعل الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأكمل تقدير بعناصره الثلاثة الجسد والعقل والروح، ولا تتحقق وظيفته في هذه الحياة إلا بالتوازن والتكامل بين هذه العناصر الثلاثة، فلا يتجاوز حد جانب منها على الجانب الآخر.

وبهذا تتضح حقيقة تكريم الله تعالى للإنسان، حيث أتم خلقه في أحسن تقويم، ومنحه عقلاً يدرك فيه الأشياء ويميزها، وروحاً تبعث فيه الحياة، وشرفه بالتكليف وحمل الأمانة، والاستخلاف في الأرض، وجعله سيداً في هذا الكون وسخر له كل شيء. وفتح له باب التوبة والمغفرة والجنة. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وخلاصة القول: إن كلمة إنسان تطلق على الجنس البشري العاقل المفكر الذي حمّله الله تعالى أمانة التكليف بعد أن أعطاه القدرة والعون ليكون خليفته في أرضه.

المبحث الخامس: أسماء علم العقيدة

مر علم العقيدة بأطوار مختلفة، تعددت فيها تسمياته بسبب ما اشتهر عرضه في كل طور من أطواره، لكن قبل الحديث في هذه الأسماء لا بد من بيان أن مصطلح الإيمان هو أصوب وأشهر ما يطلق على هذا العلم، خصوصاً أنه مصطلح القرآن الكريم: ﴿وَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ كَتَبَتْهُ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، لكن هذا لا يعني عدم صحة الأسماء الأخرى لهذا العلم، بالعكس تماماً فإن بعض الأسماء لهذا العلم يصلح إطلاقها عليه فيما يُبحث فيه لدلالاتها عليه، لأن مصطلح الإيمان يُطلق على الإيمان السليم الصافي كما جاء من نبعه الأصلي القرآن والسنة، ولكن ما خالط ذلك من آراء وأفكار قد تكون معتقدات لأصحابها، ولذا لا يصدق عليها مصطلح إيمان.

ومن أسماء هذا العلم:

أولاً: الفقه الأكبر:

وهو الاسم الذي أطلقه الإمام أبو حنيفة النعمان على كتابه الذي تناول فيه بعض قضايا العقيدة، على اعتبار أن الفهم والفقه في مجال

العقيدة وأركان الإيمان وما يتعلق به مقدم على فقه الأحكام الشرعية .
 علما بأن مصطلح الفقه عبر العصور إنما يراد به العلم بالأحكام
 العملية الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية كما هو مقرر في علم
 الفقه وأصوله .

ثانيًا: علم التوحيد:

أشهر الأسماء لهذا العلم، وسمي بذلك لأن أشهر مباحثه توحيد
 الله تعالى، وأدلة التوحيد، وأقسام التوحيد، وكل ما يتعلق بمسائل
 توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فيما يطلق عليه علم الإلهيات،
 وهذه التسمية من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، فهم عندما يتحدثون
 عن التوحيد فإنهم يشملون في ذلك أركان الإيمان .

وممن أورد هذا المصطلح التفتازاني وبين أن السبب في التسمية ما
 ذكرناه آنفًا . وقد ألفت كتب كثيرة حملت هذا الاسم في هذا العلم .

ثالثًا: السنة:

أطلق هذا اللفظ على العقيدة بمعنى العقيدة الصحيحة، وممن أطلقه
 عليها، الإمام أحمد في كتابه السنة وكذا ابن أبي عاصم وأبو بكر أحمد
 ابن محمد بن هارون بن يزيد الخلال . وغيرهم .

رابعاً: مسائل الإيمان:

جاء هذا اللفظ من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا يجعل العلاقة بين الله والعبد علاقة صدق وجزم واعتقاد، وهذا كله معناه إيمان، لغة واصطلاحاً، كما يؤيد ذلك القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]. أي بمصدق لنا؛ ولهذا كان التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره هو الإيمان أي التصديق، وخلافه التكذيب وهو الكفر.

وهنا لا بد من بيان أن هذا اللفظ (الإيمان) عند أصحاب العقيدة السليمة الصحيحة هو أفضلها وأصوبها، وهو مصطلح القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، أي أنه إطلاق الوحي.

وقد أطلق كثير من العلماء على كتبهم في هذا العلم اسم الإيمان كابن ابنه والقاسم بن سلام، وابن تيمية.

خامساً: علم الكلام:

ومن أسماء علم العقيدة، علم الكلام، وقد أطلق هذا الاسم على بعض الكتب التي ألفت في العقيدة، وقد أطلقه ابن خلدون في مقدمته على الفصل الذي عقده لموضوع العقيدة، وقد سمي بعلم الكلام لما فيه من المناظرة والحجاج والأخذ والرد في الكلام. وهو العلم الذي

يتضمن الحجاج العقلي عن العقائد الإيمانية والرد على المبتدعة والمنحرفين، وبذلك فإنه يستخدم الأدلة العقلية والبراهين المنطقية في الرد على المخالفين والمنحرفين.

سادسًا: أصول الدين:

تسمية علم العقائد بعلم أصول الدين قديمة تعتمد على تقسيم الأحكام الشرعية إلى أصول وفروع، وقد ألفت فيه كتب كثيرة بهذا الاسم بدءًا من الأشعري والرازي والغزالي واللالكائي وغيرهم. والأصل كما هو معلوم: ما بني عليه غيره، وأصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء عليه^(١).

وأصول الدين: اصطلاح العلماء على أن يطلقوه على المبادئ العقدية التي تثبت بالأدلة اليقينية^(٢).

سابعًا: علم العقيدة:

وهو أشهر الأسماء المعاصرة لهذا العلم، ولا يعني هذا أنه حديث،

(١) الفيومي، المصباح المنير، ١/ ١٦.

(٢) المرجع السابق.

لكنه أكثر الأسماء التي وجدت قبولا عند العلماء والباحثين، ولعل السبب في ذلك أن العقيدة في اللغة ما عقده الإنسان في قلبه فثبت فيه وصدقه، ثم إن من أسباب اشتهاره انتشار أسماء علماء أجلاء كتبوا هذا العلم فنسب إليهم فسمي بأسمائهم، مثل العقيدة الطحاوية، والعقيدة النسفية، والسنوسية، وغيرهم. كما أن من أسباب انتشار هذا الاسم استعماله في المعاهد والجامعات العلمية تحت اسم قسم العقيدة، وتسمية الكتب بكتب العقيدة. «وقد أصبح هذا اللفظ علماً بالغلبة على العلم الذي يبحث فيما يجب على الإنسان أن يعتقده، ويؤمن به، ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد القطع واليقين»^(١).

(١) القضية، المختصر المفيد شرح جوهرة التوحيد، ١١.

المبحث السادس: مصادر العقيدة الإسلامية^(١)

القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع هي مصادر العقيدة الإسلامية، وفيما يلي بيان هذه المصادر:

أولاً: القرآن الكريم: وهو كتاب الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومصدريته في العقائد من مسلمات هذا الدين حيث هو مصدر المعرفة والإيمان. ففيه تبيان لكل شيء: قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وليس من شيء أولي وأهم من العقائد في الأخذ والتلقي من القرآن، والمسلمون مأمورون بالأخذ بكل ما جاء فيه، لا سيما المسائل الاعتقادية، التي فصل القرآن فيها أيما تفصيل، فقد تكلم

(١) راجع في هذا: الكردي، راجح، علاقة صفات الله تعالى بذاته، ٤٠.

القرآن عن الإيمان وأركانه بالتفصيل، فبين توحيد الله تعالى، وأسمائه وصفاته، وتكلم عن الملائكة، والكتب السماوية، والنبیین، واليوم الآخر وما يتعلق به من النفخ في الصور، والبعث والنشور، والحشر، والحساب، والميزان، والجنة، وما فيها من النعيم، والنار وما فيها من العذاب، وتكلم أيضاً عن القضاء والقدر، وتكلم عن الجن والشیاطین، وغير ذلك من مسائل الاعتقاد. ومما جاء فيه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٣٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿البقرة: ٣ - ٤﴾، وقال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أما الإيمان بالقدر فهو من لوازم الإيمان بالله تعالى، فهو من أفعاله وصفاته، وقد ذكر القضاء والقدر في كثير من آيات القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤].

ثانيًا: السنة النبوية: وهي المصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية، فإذا صح الحديث سواء كان متواترًا أو آحادًا فإنه مصدر من مصادر العقيدة. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقد قال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»^(١).

فالبيان الوارد في هاتين الآيتين يشمل شرح وتفسير لما جاء في القرآن من عقائد وشرائع وأخلاق وغيرها. فالعقائد من أولى وأهم الأمور التي تبينها السنة النبوية، فكما أنها فصلت فيما أجمله القرآن في الشرائع كالصلاة والزكاة فقد فصلت في بعض العقائد كأشراط الساعة وعذاب القبر والشفاعة والحساب والصراط والحوض ورؤية الله وغير ذلك.

(١) أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٤. وهو حديث صحيح.

ثالثاً: الإجماع: وهو اتفاق علماء المسلمين بعد النبي ﷺ في عصر من العصور على أمر من أمور الدين. والمقصود به هنا ما أجمع عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، من أصول الاعتقاد والإيمان، وتلقّاه التّابعون وأتباعهم بالقبول.

والإجماع مبني على الكتاب والسنة، وهو «دليل سمعي نقلي يضاف إلى النص فيعضده ويقويه، ويدفع عنه احتمال الخطأ الذي قد يتطرق للظنيات، فيرفعه إلى مقام القطعيات» ^(١). كإجماعهم في فتنة القبر، والشفاعة، وغيرها.

(١) انظر الجعيد، خالد ورفاقه، العقائد التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، دار الهدي النبوي، مصر، ودار الفضيلة، بيروت. ط ١، ٢٠٠٧م.

المبحث السابع: خصائص العقيدة الإسلامية^(١):

تميزت العقيدة الإسلامية بخصائص عن سائر العقائد والمذاهب التي عرفتها البشرية على مدار تاريخها، نذكرها فيما يأتي:

أولاً: الربانية: والمقصود بها: أن مصدرها هو رب العالمين تبارك وتعالى، فهو الذي أوحى بها إلى الأنبياء والرسل، لينقلوها إلى الناس من لدن آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وبما أن مصدرها رباني فليس للبشر دور في وضعها أو تأسيسها، بل

(١) انظر في هذا الموضوع للاستفادة والزيادة: كردي، العقيدة الإسلامية ١، ١٥. الدوري، العقيدة ومذاهبها، ٧. مستو، العقيدة ٥٨٩. القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ٥٢. قطب، خصائص التصور الإسلامي، ٥٥. الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية، ٣٥.

مصدرها الوحي من الله تعالى إلى أنبيائه يبلغون ما أنزل إليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وختم الله تعالى رسالاته بنبينا محمد ﷺ، وما أوحى إليه من الكتاب العظيم، فقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

ثانيا: موافقتها للعقل السليم: فنصوص القرآن الكريم التي تثبت نصوص الاعتقاد، وتبين قواعده، خاطبت العقل السليم، وطالبت بالتفكير والتدبر والعقل والتأمل والنظر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ومع هذا فإن للعقل الإنساني حدوده وطبيعته وقدرته، وتجاوز ذلك منه يعني بالضرورة تخبطه وضلاله وانحرافه؛ ولهذا فإن عليه أن يُسلم بقضايا غيبية هي فوق قدراته البشرية وإدراكاته العقلية المباشرة، علماً بأن القرآن الكريم أقام أدلة عقلية تدل على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته، قال تعالى: قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

هذا، ولا يمكن أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح، وإنما هو

تعارض ظاهري يرجع إلى عقل غير صريح أو صاحب هوى، أو نص غير صحيح، كأن يكون الحديث ضعيفاً أو موضوعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما جاء عن النبي ﷺ كله حق يصدق بعضه بعضاً، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقُصود الصحيحة، لا يُخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ. وإنما يظن تعارضها: مَنْ صدّق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدلّ عليه، أو اعتقد شيئاً ظنّه من العقليات وهو من الجَهليات، أو من الكُشوفات، وهو من الكسوفات إن كان ذلك معارضاً لمنقولٍ صحيح، وإلا عارض بالعقل الصريح، أو الكشف الصحيح، ما يظنّه منقولاً عن النبي ﷺ، ويكون كذبا عليه، أو ما يظنّه لفظاً دالاً على شيء ولا يكون دالاً عليه»^(١).

ثالثاً: فطرية: تنسجم العقيدة الإسلامية مع فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

(١) ابن تيمية، الرسالة العرشية، المطبعة السلفية، مصر القاهرة، ط ١، ١٣٩٩ هـ.

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الروم: ٣٠].

وقد بين النبي ﷺ أن الإنسان يولد على فطرة الإسلام فيما قال: «ما مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] ^(١).

والفطرة كما يقول بعض المفسرين: «الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدودة مهياة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه جل وعلا، ويعرف شرائعه ويؤمن به، وقيل: الفطرة: الملة أو الدين» ^(٢).

إن اتصاف العقيدة الإسلامية بالفطرة يعني أن الإنسان حينما يعيش في ظل العقيدة إنما يعيش مع فطرته، هادئ النفس، مرتاح الضمير، سعيداً مطمئناً؛ فقضية التوحيد مثلاً قضية فطرية منسجمة انسجاماً تاماً مع النفس الإنسانية المحتاجة إلى معبود تتقرب إليه، وتلجأ إليه عند

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، حديث ١٣٥٨

(٢) ابن عطية، المحرر، ٤٥٣/١١.

الشدة وفي الرخاء^(١).

رابعا: وضوحها وبساطتها: فهي عقيدة سهلة يسيرة واضحة لا غموض فيها، فتوحيد الله تعالى وما يتعلق به من مسائل الاعتقاد والإيمان أمور يسيرة، سهلة على الفكر الإنساني، منسجمة معه، فالكل قادر على قبولها وفهمها وإدراكها، وإنما التفاضل في قدرتهم على إقامة البراهين عليها. فما أيسر فهم قول الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فهذا القول يدل على وحدانية الله تعالى المطلقة، التي لا يمكن أن يشاركه فيها أحد. أو قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص].

كما أن العقيدة الواضحة السهلة تتلاءم مع كل المستويات العقلية والفكرية والثقافية والاجتماعية. ولو قارنتها ببعض العقائد الأخرى مثل المانوية، أو التثليث لوجدت الصعوبة الشديدة في تلك العقائد. وكذا في سائر مسائل العقيدة وأركان الإيمان، كالإيمان بالملائكة وما

(١) كردي، العقيدة الإسلامية، ١، ١٨.

ورد في صفاتهم وأعمالهم، والإيمان بالرسول والغاية من إرسالهم وصفاتهم وخصائصهم، وإقامة الحجج والبراهين على صدقهم وعلى صدق ما جاؤوا به، وكذا الإيمان باليوم الآخر من قبض الروح إلى دخول الجنة أو النار مرورًا بالقبر وفتنته والنفخ في الصور والبعث والنشور والحشر والحساب والميزان والصراط وغير ذلك. فكلها سهلة واضحة مفهومة.

خامسًا: الثبات^(١): ومعنى ذلك أن مسائل العقيدة الإسلامية ثابتة لا تتغير ولا تبدل، فلا تخضع للزيادة أو النقصان، لأنها مسائل متعلقة بأخبار صادقة وحقائق ثابتة لا تتغير. فالوحدانية تتحدث عن إله واحد، فلا يمكن أن تتغير هذه الحقيقة ليصبح إلهين اثنين أو ثلاثة، وكذلك مسائل النبوات، فالله تعالى أرسل أنبياء برسالة إلى الناس، وهي حقيقة ثابتة لا يمكن أن تتغير، لنقول بأن الله تعالى لم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب، وكذا فيما يتعلق بالملائكة واليوم الآخر، وغير ذلك من مسائل العقيدة.

وعلى هذا فجميع البدع والأساطير والخرافات التي أُدخلت على العقيدة، وأُشيعت بين العامة باطلة مردودة لا يقرها الإسلام ولا تؤخذ

(١) كردي، العقيدة الإسلامية، ١١-٢١، بتصرف.

حجة عليه، فكل ما يتعلق بالإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يتعلق بعبادته وحده، وما يتعلق بالإنسان وخلقه وتكريمه واستخلافه كلها حقائق ثابتة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

سادساً: العالمية: ومن خصائص هذه العقيدة أنها للناس كافة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبي ﷺ: «أُعْطِيَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي... وذكر منها: «وكان النبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

ولذا نجد العقيدة الإسلامية غير مخصوصة بجنس دون آخر، ولا ببلد دون أخرى، ولا تفاضل فيها بين الناس إلا بالتقوى.

سابعاً: الشمول: ومظاهر الشمول في العقيدة الإسلامية كثيرة، منها: أنها اشتملت على الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التي تساور كل نفس،

(١) البخاري: كتاب التيمم، حديث رقم (٣٣٥).

من أين أتينا؟ ولماذا أتينا وما هي غاية وجودنا؟ وإلى أين سنذهب، وما هو مصيرنا؟.

ومن مظاهر شمولها أنه تعرفنا على الوجود كله، فهي تعرفنا على الله سبحانه والكون والحياة والإنسان، والعلاقة بين الإنسان وربه سبحانه والعلاقة بين الإنسان وسائر المخلوقات، وتنظم هذه العلاقات كلها.

المبحث الثامن: آثار العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية آثار عظيمة على الفرد والمجتمع، لما اختصها الله تعالى من خصائص عظيمة تحدثنا عنها في المبحث السابق، وأهم هذه الآثار نذكرها فيما يأتي:

١ - تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى: تبين العقيدة الإسلامية أن الغاية من خلق الإنسان هي العبودية لله تعالى وحده، الإله الواحد القهار المستحق وحده للعبادة، فيتحرر الإنسان من العبودية لغيره سبحانه. وما سواه مما في الوجود إنما هي مخلوقات له سبحانه، فلا يتوجه الإنسان إليها بالعبادة والتقديس والخضوع. وتاريخ البشرية مليء بالآلهة المزعومة قديماً وحديثاً.

٢ - السعادة في الحياة الدنيا: وعندما يتحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، ويتوجه إليه بالعبادة، ويعتقد أنه وحده سبحانه مدبر هذا الكون، بيده ملكوت كل شيء، وهو الرازق، وهو المحيي، وهو المميت، وهو المعز وهو المذل، يصرف الحياة بحكمته ورحمته وفضله، فإن هذا كله ينقلب على حياة الإنسان بالأمن والطمأنينة والرضا، وهذه هي السعادة الحقيقية في الدنيا.

٣- تحرر العقل من الأوهام والخرافات والأساطير: جاءت العقيدة الإسلامية بمادى واضحة تربط الإنسان بخالق هذا الكون ومدبره، في حين عاش الإنسان قديما وحديثا رهن الخرافات والأوهام والأساطير، فكم تعلق الناس بالكهان والعرافين والسحرة، والمشعوذين، وكم تعلق الإنسان بالتطير والتشاؤم، وكم تعلق بأفكار باطلة عن الجن وقدراتهم وتأثيرهم، وما تزال هذه الأمور منتشرة عند كثير من الأمم. فكانت العقيدة الإسلامية عاصمة من كل هذا الخطل وهذا الضلال.

٤- تهذب النفس والسلوك: ربط القرآن الكريم والسنة النبوية بين الإيمان بالله تعالى، وبين سلوك المؤمن وأعماله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، وقال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١)، وقال: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»^(٢)، وكما جاء في حديث النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم ١٣.

(٢) البخاري: كتاب الأدب، حديث رقم ٦٠١١.

المُسْلِمَ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١). وغير ذلك الكثير من آيات الله تعالى في كتابه العزيز، وأحاديث نبيه الكريم ﷺ التي تهذب سلوك المؤمن، وتربطه بعقيدته، فلا يؤمن بالإيمان الكامل حتى يكون سلوكه وفق ما جاءت به الشريعة السمحة.

٥- وهذه العقيدة تبني الشخصية المسلمة الإيجابية النافعة القوية، فيعمل على صلاح نفسه وصلاح أسرته، وصلاح مجتمعه، مما يؤدي إلى صلاح أُمته، لتكون أمة الخيرية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهي بهذا ترتفع فوق كل الأمم وتكون شاهدة عليها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

(١) البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث رقم ٢٤٤٢

الفصل الثاني: من مسائل الإيمان

المبحث الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحًا

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الثالث: العلاقة بين الإيمان والإسلام والإحسان

الفصل الثاني

من مسائل الإيمان

المبحث الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً

الإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وهو من الأمن ضد الخوف^(١). قال الراغب: «أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف»^(٢)، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، وفي الحديث الشريف: «النجوم أمانة السماء، فإذا ذهب النجوم، أتى السماء ما تُوعَد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى الأمة ما توعَد»^(٣). قال ابن الأثير: «الأمانة في هذا الحديث جمع أمين، وهو الحافظ»^(٤).

وقد جاء في اللغة أيضاً بعدة معان منها: التصديق، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدق لنا.

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١١٧٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات، ٩٠.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٥٣٧.

(٤) ابن الأثير، النهاية، ٧١/١.

ومنها: الثقة: كقول النبي ﷺ: «المؤذن مؤتمن»^(١)، قال ابن الأثير في النهاية: «مؤتمن القوم، الذي يثقون إليه، ويتخذونه أميناً حافظاً، يقال: المؤتمن: الرجل، فهو مؤتمن، يعني أن المؤذن أمينُ الناس على صلاتهم وصيامهم»^(٢).

الإيمان اصطلاحاً:

جاء مسمى الإيمان في الاصطلاح الشرعي على أقوال أشهرها عند العلماء قولان اثنان:

الأول: أن اسم الإيمان يقع على التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح. وهو قول جمهور العلماء.

قال الإمام الشافعي: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر^(٣).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت، برقم ٥١٧، والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن برقم ٢٠٧، وهو حديث صحيح.

(٢) ابن الأثير، النهاية، ١/ ٧١.

(٣) ابن تيمية، الإيمان، ٢٤١.

وقال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأصهار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص^(١).

قال وقد استدلووا لذلك بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كُنْتُمْ لَكِبْرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد روى البخاري في باب الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، يعني صلاتكم عند البيت، عن البراء - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أو سبعة عشر شهراً، وكان يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى - أَوْ صَلَّاهَا - صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ، قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رَجُلًا قُتِلُوا، لَمْ

(١) انظر ابن حجر: فتح الباري، ١/ ١٠٢.

نَدْرِ ما نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»
قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجُّ مَبْرُورٌ» فَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا^(٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُونَ، أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٣).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «فَأَمَّا الْقَوْلُ، فَالْمُرَادُ بِهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَأَمَّا الْعَمَلُ فَالْمُرَادُ بِهِ مَا هُوَ أَعْمٌ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، لِيَدْخُلَ الْإِعْتِقَادُ وَالْعِبَادَاتُ. وَمُرَادُ مَنْ أَدْخَلَ ذَلِكَ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ وَمَنْ نَفَاهُ إِنَّمَا هُوَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، بِرَقْم ٤٤٨٦.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، بَابُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْعَمَلُ بِرَقْم ٢٦، وَمُسْلِمُ كِتَابِ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، بِرَقْم ١٣٥.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ، بِرَقْم ٥٨.

بالنَّظَرِ إلى ما عند الله تعالى، فَالسَّلَفُ قالوا: هو اعتقادُ بالقلب، ونُطْقُ باللسان، وعملٌ بالأركان، وأرادوا بذلك أنَّ الأعمالَ شرطٌ في كماله^(١).

القول الثاني: وهو أنَّ الإيمانَ اسم يقع على الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب، ولا يدخل فيه العمل بالجوارح. وهو ما ذهب إليه أبو حنيفة. وقد قالوا بأن العمل من لوازم الإيمان يجب الأخذ به.

قال شارح الطحاوية: «والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقيين من أهل السنة - اختلاف صوري. فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه - نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد. ثم قال: وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه: أنه عاص لله ورسوله، مستحق الوعيد،»^(٢).

وقد اتفقوا جميعاً على مسائل مهمة في هذا الموضوع أهمها: أن من أقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه فهو كافر منافق في الدرك الأسفل من النار.

(١) انظر ابن حجر: فتح الباري، ١/ ١٠١.

(٢) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ٢/ ٤٦٢.

وأن من صدق بقلبه وأقر بلسانه، ثم لم يستجب لأوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر رسوله ﷺ، وما يشتمل عليه ذلك من ارتكاب الكبائر، فإنهم لا يكفرونه ما لم يستحل ذلك، أو ينكر الحكم الشرعي، فإنه عاص لله ورسوله، وإن مات ولم يتب، فإنه في مشيئة الله سبحانه وتعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولقول النبي ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(١)، وقوله ﷺ: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذاك إلى قلب موقن، إلا غفر الله لها»^(٢). وعن معاذ، أن رسول الله ﷺ قال له: «يا معاذ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»^(٣). قال النووي في شرحه لحديث: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٤)، قال: «هذا الحديث مما اختلف

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ فِي الْأَعْمَالِ، برقم ٢٢.

(٢) أحمد، المسند، برقم ٢١٩٩٨، وهو حديث صحيح.

(٣) أحمد، المسند، برقم ٢٢٠٨٣، وإسناده صحيح.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الايمان من المعاصي، حديث رقم ١٠٠.

العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة، وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور: أنهم بايعوه عليه السلام على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا... إلى آخره، ثم قال لهم عليه السلام: «فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه»، فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا، سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم، وأدخلهم الجنة أولاً، وإن شاء عذبهم، ثم أدخلهم الجنة، وكل هذه الأدلة تضطرننا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه^(١).

(١) النووي، شرح مسلم، ٢/ ٤١-٤٢.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن من أقر بالشهادتين أصبح
بهما مسلمًا، تجري عليه أحكام الشريعة الإسلامية في الدنيا، ولا يحكم
بكفره إلا إذا أتى بما ينقضهما.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه

للعلماء في هذه المسألة عدة آراء، ورأي أهل السنة والجماعة فيها أن الإيمان يزيد وينقص، ومما استدلوا به على هذا الرأي: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقول الله تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْخِ الْمَوْتُ قَالَ أُولَئِذٍ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وحديث النبي ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان،

هذه أدلة الفريق الأول، وهي نص على أن الإيمان هنا هو ما يجده المؤمن في قلبه، وليس المراد به التصديق. فالناظر في الآيات والأحاديث يجد أن الناس يتفاوتون في أعمال القلوب، مثل: محبة الله تعالى ورسوله، وخشية الله ورجائه، وهي كلها من الإيمان، وبالتالي زيادة الإيمان ونقصانه مختلف كل بحسب درجة حبه وخشيته، فليس كل مؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه، وقد تتفاوت درجات وجل القلب بين مؤمن وآخر.

وقد نقل عن الشافعي قوله: «لو كان الإيمان واحدًا لا نقصان فيه ولا زيادة لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمن الجنة، وبالإضافة في الإيمان تفاضلوا بالدرجات عند الله تعالى في الجنة، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار»^(١).

قال النووي: «فالأظهر - والله أعلم - أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم، بحيث لا تعثرهم الشبه، ولا يتزلزل إيمانهم بعارض، بل لا تزال قلوبهم

(١) البيهقي، شعب الإيمان، ١/ ٦٩.

منشحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال. وأما غيرهم من المؤلفه ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك، فهذا مما لا يمكن إنكاره . ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لا يساويه تصديق آحاد الناس ؛ ولهذا قال البخاري في صحيحه : قال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل . والله أعلم»^(١).

(١) النووي، شرح مسلم، ١/ ١٤٨.

المبحث الثالث: العلاقة بين الإيمان والإسلام والإحسان

لمعرفة العلاقة بين الإيمان والإسلام والإحسان لا بد من بيان مفهومها، وقد سبق تعريف الإيمان.

أولاً: مفهوم الإسلام لغة واصطلاحاً:

مفهوم الإسلام لغة: أسلم وسلم، السين واللام والميم، معظم بابه من الصحة والعافية، ومنه الانقياد والتسليم؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع، يقال: أسلمت الناقة الزمام: أي خضعت وانقادت لصاحبها، ومنه قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، وقيل: أسلم يسلم فهو مسلم بمعنى الاستسلام والانقياد، ويقال فلان مسلم، وفيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني: المخلص لله العبادة، ومنه قولهم: سلم الشيء لفلان أي خلصه، وسلم له الشيء أي خلص له، وفي الحديث: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١). قال الأزهري: معناه أنه دخل في باب السلامة حتى

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، حديث رقم، ٦٥.

يسلم المؤمن بوائقه^(١).

مفهوم الإسلام اصطلاحاً: يطلق الإسلام اصطلاحاً ويراد به:

١ - الإسلام بمعناه العام: وهو بمعنى دين الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو بهذا المعنى: إظهار الخضوع لله تعالى والالتزام بما جاء به الأنبياء والرسل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، أي خضعت لله تعالى ولشرعه. وهنا تتضح العلاقة بين المعنيين الشرعي واللغوي

٢ - الإسلام بالمعنى الخاص: يطلق ويراد به رسالة الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهو الدين الناسخ لكل الرسالات السابقة بالالتزام به يستحق الجنة وبتركه يستحق العذاب والخلود في النار.

٣ - الإسلام في مقابل الإيمان: الأعمال الظاهرة المطلوبة من المؤمن الذي صدق بالله ربا وببقية الأركان المطلوبة منه، فالإيمان قلبي، والإسلام ظاهري، ويتضح ذلك في أركانه من الشهادتين وإقام

(١) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٩٠/٣، مادة أسلم. ابن منظور، لسان العرب، مادة سلم.

الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وكل ذلك أعمال ظاهرة، ولهذا لو قام أحد بها فهو مسلم مؤمن في حكم الدنيا حتى لو خالف ظاهره باطنه لأننا في الدنيا نحكم على ظواهر الأفعال والأعمال لا على خفايا القلوب.

ثانياً: العلاقة بين الإيمان والإسلام: لكل من الإيمان والإسلام كما سبق معناه اللغوي والاصطلاحي، مع ذلك فإن بعض العلماء اعتبرهما شيئاً واحداً فقال: إن الإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام، وبعضهم فرق بينهما، وآخرون جمعوا بينهما مع وجود اختلاف، وقد انقسم العلماء في ذلك إلى أقوال ثلاثة^(١):

الأول: الإيمان والإسلام شيء واحد لا ينفصلان، وإنما هذه الالفاظ من باب الترادف، فلا فرق بينهما، فالمسلم مؤمن، والمؤمن مسلم، وينسب هذا القول لأبي حنيفة، والماتريدية، وبه قال كثير من أهل السنة، وعليه الإمام البخاري، وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها:

(١) انظر: الحنفي، الطحاوية، ٢٥٣. الغزنوي، أصول الدين، ٢٦١-٢٦٢،
البزدوي، أصول الدين، ١٥٧. الدوري، العقيدة ومذاهبها، ١٩٠. الكردي،
العقيدة الإسلامية ١٤٠-٤٣.

١ - ﴿بَايَئُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

٢ - ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [١٣٦] فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦ -

١٣٧]، ففي أول الآية خاطبهم بالإيمان، وفي خاتمتها طلب منهم الإقرار بالإسلام إن هم آمنوا، وهذا كله ترادف بين لفظين لهما معنى واحد.

٣ - ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١]، وهذا يدل على أن من آمن فهو مسلم، وأن من استحق أحد الاسمين فقد استحق الآخر.

٤ - ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣٥] فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦]، فمرة وصفهم بالإيمان وأخرى بالإسلام وهذا ترادف أيضاً؛ لأنه إنما أراد أن يميزهم عن غيرهم من قومهم.

٥ - ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والدين هو الإيمان

كما هو معلوم، فلو كان غير الإسلام لما قبل من مبتغيه.

وهذا القول فيه نظر من باب أن العلماء يقولون إنه لا ترادف في القرآن الكريم، وإن لكل لفظ في القرآن معناه المختلف عن الآخر حتى لو تصور أن لهما نفس المعنى في الخارج، فورودهما في القرآن الكريم يدل على اختلاف في معناهما.

وقد يؤيد هذا القول من وجهة نظر أخرى أن المراد أنهما أمر واحد فلا يتصور إيمان بلا إسلام، أو إسلام بلا إيمان، لأنه من كان مصدقاً لله تعالى ورسوله فهو منقاد لله ورسوله، ومن كان منقاداً لله ورسوله فهو مصدق لله ورسوله. وإلا لو اختلف أي منهما فلو كان منقاداً شكلاً فإنه عند الله تعالى منافق غير مؤمن. ولو كان منقاداً بالقلب، وغير منقاد بالجوارح، فهذا تعارض بين التصديق والانقياد، إلا إذا كان عدم انقياده عجزاً أو كسلاً أو تقصيراً، فهذا يُعد منقاداً إلا أنه مقصر، ولهذا يطلق عليه أنه مؤمن مسلم.

القول الثاني: الإسلام غير الإيمان، أي: أن بينهما فرقاً، فكما أنهما يفترقان في معناهما الاصطلاحي، واللغوي، ويختلفان في أركان كل منهما فإن بينهما تغييراً، فالإسلام هو الكلمة أي كلمة الشهادة،

والإيمان هو العمل في وجهة نظر بعضهم، وعند غيرهم ممن يفرق بينهما، فإن الإيمان هو الأعمال الباطنة، والإسلام هو القول والأعمال الظاهرة، وجعل بعضهم الإيمان أخص من الإسلام، وهذا القول يرجع للذي سبقه. فالإسلام يُعرف بالأعمال، والإيمان لا يعرفه إلا رب العالمين لأن محله القلب. وعلى هذا قد يقول قائل: إن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً، فهو منقاد في الظاهر غير منقاد في الباطن. وأدلة هذا القول:

١- قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا فُلْ لَّنْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسَآمَنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحجرات: ١٤]، فهنا نفى عنهم الإيمان، وأثبت لهم الإسلام، وهو الإنقياد والاستسلام ففرق بين الإيمان والإسلام.

٢- ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفَظِينَ وَالْحَفَظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، قالوا إن العطف يقتضي المغايرة، وهنا عطف الإيمان على الإسلام، فكيف يعطف الشيء على نفسه.

٣- حديث جبريل الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإيمان وعن الإسلام واختلاف الجواب بينهما: «قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»^(١).

هذا الحديث واضح في التفريق بين الإيمان والإسلام، والفرق أن الإيمان هو التصديق: وهو الأعمال الباطنة، والإسلام هو الاستسلام والانقياد والاستجابة، وهو الأعمال الظاهرة.

١- حديث النبي ﷺ: أعطى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فَلَانٍ؟ وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فَلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو، حديث رقم ٥

مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» قَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةً أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»^(١). فقد توقف النبي ﷺ في اسم الإيمان، وأثبت له الإسلام.

القول الثالث: إذا اجتمعوا افترقا، وإذا افترقا اجتمعوا: وهو ما ذهب إليه شارح الطحاوية، وبه قال الغزالي، ورأي عند أبي حنيفة: والمراد هنا أنه إذا انفرد لفظ منهما في كتاب الله تعالى قصد منه الأمرين معا كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، أي: مؤمنون مسلمون، مصدقون عاملون ظاهرهم وباطنهم مقرر بالعبودية لله تعالى، وإذا ذكرا في نص واحد فإن الإيمان يراد به الأعمال القلبية، والإسلام يراد به الأعمال الظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وهذا القول هو الأرجح فيما نرى، فإنه:

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الجنائز، باب اعطاء من يخاف على إيمانه، حديث رقم

١ - يمنع القول بالترادف؛ لأن لكل من اللفظين معنى مستقل لغوي واصطلاحي.

٢ - يمنع القول بالتغاير مطلقاً، فإنهما إذا انفردا لا بد من اتحادهما في المراد.

٣ - يؤكد على أن الإسلام والإيمان يختلفان في المعنى، ويتلازمان في الحكم لا ينفك أحدهما عن الآخر.

رابعا: العلاقة بينهما مع الإحسان: ورد الإحسان في كثير من الآيات والأحاديث، منها: حديث النبي ﷺ عندما سأله جبريل عن الإسلام والإيمان، ثم سأله عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١). والإحسان هنا هو الكمال، وليس المراد في الحديث ترتيب الدرجات، فنقول مسلم مؤمن محسن كما يعتقد البعض، وإنما الإحسان صفة. ووجوده في حديث جبريل هنا بعد الإسلام والإيمان فيه دلالة على كمال الإسلام والإيمان وتلازمهما من حيث التصديق القلبي مع اليقين به، والعمل الظاهري الموافق لما في

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو، حديث رقم ٥.

القلب، وأداؤه بأحسن صورة وأكملها، فتستشعر مراقبة الله تعالى في عباداتك القلبية، وعبادات الجوارح، وتكون أعمالك الظاهرة موافقة لما في قلبك من الخشوع والخضوع والمراقبة، مرتقيا بإيمانك معظمًا لشعائر الله سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فهرس المحتويات

٥	المقدمة
٩	الفصل الأول
٩	مقدمات في العقيدة
٩	المبحث الأول: مفهوم العقيدة لغةً واصطلاحاً
٩	مفهوم العقيدة لغةً:
١١	مفهوم العقيدة اصطلاحاً:
١٢	التعريف المختار:
١٥	المبحث الثاني: مكانة العقيدة الإسلامية وأهميتها
	المبحث الثالث: الموضوعات العقدية في القرآن ومنهجه في
٢٠	عرضها:
٢٠	المطلب الأول: الموضوعات العقدية في القرآن
٢٥	المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض مسائل الاعتقاد
٣٥	المبحث الرابع: المخاطب بالاعتقاد

المبحث الخامس: أسماء علم العقيدة	٣٩
ومن أسماء هذا العلم:	٣٩
المبحث السادس: مصادر العقيدة الإسلامية ^(١)	٤٤
المبحث السابع: خصائص العقيدة الإسلامية ^(١) :	٤٨
المبحث الثامن: آثار العقيدة الإسلامية	٥٦
الفصل الثاني	٦١
من مسائل الإيمان	٦١
المبحث الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحًا	٦١
المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه	٦٩
المبحث الثالث: العلاقة بين الإيمان والإسلام والإحسان	٧٢
فهرس المحتويات	٨٣